

تفسير ابن كثير

أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً^ج
أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ^ج وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ مِنَ الْأَحْزَابِ فَالذَّارُ مَوْعِدُهُ^ج فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ^ج
الْحَقُّ مِّن رَّبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ

يخبر تعالى عن حال المؤمنين الذين هم على فطرة الله تعالى التي فطر عليها عباده ، من الاعتراف له بأنه لا إله إلا هو ، كما قال تعالى : (فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم) [الروم : 30] ، وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تولد البهيمة بهيمة جمعاء ، هل تحسون فيها من جدعاء ؟ " . وفي صحيح مسلم عن عياض بن حمار ، عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " يقول الله تعالى : إني خلقت عبادي حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم ، وحرمت عليهم ما أحللت لهم " . وفي المسند والسنن : " كل مولود يولد على هذه الملة ، حتى يعرب عنه لسانه " الحديث ، فال مؤمن باق على هذه

الفطرة . [وقوله : (ويتلوه شاهد منه) أي] : وجاءه شاهد من الله ، وهو ما أوحاه إلى الأنبياء ، من الشرائع المطهرة المكملة المعظمة المختمة بشريعة محمد ، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين . ولهذا قال ابن عباس ، ومجاهد ، وعكرمة ، وأبو العالية ، والضحاك ، وإبراهيم النخعي ، والسدي ، وغير واحد في قوله تعالى : (ويتلوه شاهد منه) إنه جبريل عليه السلام . وعن علي ، والحسن ، وقتادة : هو محمد ، صلى الله عليه وسلم . وكلاهما قريب في المعنى ; لأن كلا من جبريل ومحمد ، صلوات الله عليهما ، بلغ رسالة الله تعالى ، فجبريل إلى محمد ، ومحمد إلى الأمة . وقيل : هو علي . وهو ضعيف لا يثبت له قائل ، والأول والثاني هو الحق ; وذلك أن المؤمن عنده من الفطرة ما يشهد للشريعة من حيث الجملة ، والتفاصيل تؤخذ من الشريعة ، والفطرة تصدقها وتؤمن بها ; ولهذا قال تعالى : (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه) وهو القرآن ، بلغه جبريل إلى النبي [محمد] صلى الله عليه وسلم ، وبلغه النبي محمد إلى أمته . ثم قال تعالى : (ومن قبله كتاب موسى) أي : ومن قبل [هذا] القرآن كتاب موسى ، وهو التوراة ، (إماما ورحمة) أي : أنزل الله تعالى إلى تلك الأمة إماما لهم ، وقدوة يقتدون

بها ، ورحمة من الله بهم . فمن آمن بها حق الإيمان قاده ذلك إلى الإيمان بالقرآن؛ ولهذا

قال تعالى : (أولئك يؤمنون به) . ثم قال تعالى متوعدا لمن كذب بالقرآن أو بشيء منه : (

ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) أي : ومن كفر بالقرآن من سائر أهل الأرض

مشركيهم : أهل الكتاب وغيرهم ، من سائر طوائف بني آدم على اختلاف ألوانهم

وأشكالهم وأجناسهم ، ممن بلغه القرآن ، كما قال تعالى : (لأنذرکم به ومن بلغ) [

الأنعام : 19] ، وقال تعالى : (قل يأيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) [الأعراف

: 158] . وقال تعالى : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) وفي صحيح مسلم ،

من حديث شعبة ، عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن أبي موسى الأشعري - رضي الله

عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : " والذي نفسي بيده ، لا يسمع بي أحد

من هذه الأمة يهودي أو نصراني ، ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار " . وقال أيوب السخيتاني ،

عن سعيد بن جبير قال : كنت لا أسمع بحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

على وجهه إلا وجدت مصداقه - أو قال : تصديقه - في القرآن ، فبلغني أن رسول الله -

صلى الله عليه وسلم - قال : " لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ، ولا يهودي ولا نصراني ،

فلا يؤمن بي إلا دخل النار " . فجعلت أقول : أين مصداقه في كتاب الله ؟ قال : وقلما سمعت عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا وجدت له تصديقاً في القرآن ، حتى وجدت هذه الآية : (ومن يكفر به من الأحزاب فالنار موعده) قال : " من الملل كلها " . قوله : (فلا تك في مرية منه إنه الحق من ربك) أي : القرآن حق من الله ، لا مرية فيه ولا شك ، كما قال تعالى : (الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) [السجدة : 1 ، 2] ، وقال تعالى : (الم ذلك الكتاب لا ريب فيه [هدى للمتقين]) [البقرة : 1 ، 2] . وقوله : (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) كما قال تعالى : (وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين) [يوسف : 103] ، وقال تعالى : (وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله) [الأنعام : 116] ، وقال تعالى : (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين) [سبأ : 20] .